المحاضرة الثانية

أطوار الدعوة العباسية

من الامصار التي انطلقت منها الدعوة ، فان محمد بن علي امر الدعاة بالتركيز على خراسان . وهذا يعني في واقعه التاريخي العرب من مقاتلة ومستقرين والموالي . ويبدو انه شعر بتأزم الوضع في خراسان واقترابه من الانفجار بفعل الصراعات القبلية وتذمر الموالي ، فرأى ان مرو وهي قصبة خراسان هي المكان الملائم لاستقطاب الانصار لجيش الثورة فأثبت بذلك ان كان على تفهم تام للاوضاع السياسية في الاقاليم الاسلامية .

ومن حيث تحديد مقر الدعاة فقد اتخذ محمد العباسي الكوفة المعروفة بالولاء لآل البيت (عليهم السلام) وهي تصلح لان تكون حلقة الوصل بين الهاشمية في الحميمة وميدان الحركة في مرو بفعل جوها الموالي للثورة والمناهض للامويين.

وقد اشار محمد بن علي على دعاته ان يتعاطوا مهنه التجارة لاخفاء هدفهم الدعائي عن السلطة كما اوصاهم بنشر الدعوة بالحكمة .

مرت الدعوة العباسية بطورين هامين :

_الطور الاول

يبدأ هذا الطور في مستهل القرن الثاني للهجرة وينتهي بأنضمام أبي مسلم الخراساني الى الدعوة ، ويغطي الفترة الزمنية بين عامي (100_128 هـ / 718_746م) .

وقد تميزت الدعوة في هذا الطور بالسرية التامة وخلوها من أساليب العنف في الوقت الذي كانت فيه دولة الخلافة الاموية متماسكة .

نظم الدعوة في العراق ثلاثة دعاة هم : ميسرة العبدي ، وهو مولى لعلي بن عبد الله بن العباس ، وبكير بن ماهان ويعتبر اهم دعاة العراق ، وابو سلمة الخلال الذي قاد الدعوة في الاعوام الخمسة الاخيرة قبل تسلم بني العباس السلطة .

اما في خراسان فقد قامت الدعوة على اكتاف جماعة من الدعاة اشهرهم أبو عكرمة السراج ، مولى ابن عباس ، ومحمد بن خنيس ، وحيان العطار ، وكثير الكوفي ، وخداش البلخي ، ونقيب النقباء سليمان بن كثير الخزاعي . ويبدو ان السلطات الحاكمة علمت بأمر الدعوة فطاردت الدعاة وقتلت بعضهم .

واحدث محمد بن علي العباسي تغييرا استراتيجيا هاما في فحوى الدعوة حين خصصها لنفسه وكشف ذلك لدعاته على ان يبقى هذا الامر وقفا عليهم فقط دون العامة . وتوفي محمد العباسي في عام (125 هـ / 743 م) بعد ان قطعت الدعوة شوطا بعيدا وقد اوصى بالامامة من بعده لابنه ابراهيم .

_الطور الثاني

يبدأ هذا الطور بانضمام ابي مسلم الى الدعوة العباسية واستمر حتى عام (132هـ / 750م) وهو العام الذي سقطت فيه دولة الخلافة الاموية وقامت دولة الخلافة العباسية .

لقد عمل العباسيون على تأسيس دعوة سرية تحت ضل الدعوة الاصلية لأل البيت (عليهم السلام) فكانوا يامرون دعاتهم بعدم ذكر اسم الشخص المعني الذي سيتولى الخلافة بعد اسقاط الدولة الاموية لهذا تعرضت الدعوة الى الاهتزاز في خراسان فخشي ابراهيم بن محمد العباسي ان يفلت زمام الامور من يده فعمل على استمالة سليمان بن كثير الخزاعي الذي تمكن من اعادة التلاحم بين الجماعة الخراسانية ورأستهم في الحميمة .

لقد تميزت الدعوة في هذا الطور باستعمال القوة لتحقيق هدفها . فبعد اتساع خلاياها وتعمق جذورها في المجتمع الخراساني اضحى لابد لها من رئيس على درجة عالية من الكفاءة والمقدرة يشرف على شؤونها ويعد الخطط والتحركات .

عرض ابراهيم القيادة على نقيب النقباء سليمان بن كثير وكان شيخا مسنا فأعتذر عن قبولها ثم عرضها على ابراهيم بن سلمة فأعتذر ايضا . عندئذ اتخذ الخطوة الحاسمة واختار ابا مسلم الخراساني ممثلا له في خراسان فقلده الامر وارسله الى هناك .

كان اختيار ابي مسلم خطوة موفقة وفاتحة مرحلة جديدة في استنهاض حياة الدعوة بفعل ان المولى يدير دفة الامور في خراسان ذات النفوذ الفارسي الواضح والمضطربة قبليا اجدر بالثقة من عربي حر. وتدل الرسالة التي بعث بها ابراهيم اليه عندما ولاه الشروع للعمل في خراسان ان استمالة العرب اليمانية هو حجر الاساس ومفتاح النصر فأستقامت امور العباسيين في خراسان نتيجة جهوده السياسية والعسكرية واستطاع هذا الرجل بما تمتع به من كفاءات ان يصبح الداعية العباسي المتحكم في الشرق كله بعد ان اكتسب ثقة سليمان بن كثير .

هذا وقد حفلت الاعوام الاربعة الاخيرة من حياة دولة الخلافة الاموية (129-132 هـ / 746-750 م) بتطورات سريعة شكلت جذور الحياة العباسية وتجلت فيها مظاهر ضعف العنصر العربي بشكل عام بفعل ما ساده من نزاعات وانقسامات حادة وبرز خلالها ضعف الامويين بشكل خاص وشهدت عمليات تصفية النظام الاموي وظهرت القوى الجديدة من بين ركام المعارك على مرحلتين : مرحلة ابي مسلم الخراساني ، ومرحلة قحطبة بن شبيب ، وانتهت بقيام دولة الخلافة العباسية .

<u>اولا :- مرحلة ابي مسلم الخراساني</u>

نزل ابو مسلم فور وصوله الى خراسان في بلخ ونال بعد فترة قصيرة ثقة سليمان بن كثير ثم اخذ يدير الامور بحكمة ودهاء فراح ينتقل في قرى الشرق يحث اهلها على الالتفات حول الدعوة وقد اصاب نجاحا كبيرا في ذلك فاستقطب الموالي بما صور لهم من فساد الحكم الاموي واثارهم بما كانوا يعانونه من ظلم في ظله و وعدهم بأنه سيجعلهم سادة وسيملكهم الارض كما نحج في استمالة الدهاقنة واهل الريف ثم استقطب القبائل العربية اليمنية وانضم الي اهل التقادم المعروفين بمعارضتهم للنظام الاموي .

بعد ان اطمئن ابو مسلم الى ما وصلت اليه الدعوة من القوة والانتشار رفع بذلك تقريرا الى الحميمة ومن جهته اخذ ابراهيم بن محمد زمام المبادرة فحدد تاريخ لبدأ التحرك اخذا بنظر الاعتبار الظروف الداخلية لقوة الدعوة والظروف الداخلية المتردية لدولة الخلافة الاموية .

وفعلا اعلنت الثورة في خراسان في يوم الخميس في الخامس والعشرين من (شهر رمضان عام 129 هـ /شهر حزيران عام 747 م) على يد سليمان بن كثير فالتفت شيعة العباسيين حول ابي مسلم وقد اتخذوا السواد شعارا في ملابسهم وألويتهم ولذا عرفوا بالمسودة . واقيمت في يوم عيد الفطر في سفيذنج أول صلاة لانصار العباسيين فانكشف امرهم وكان لابد من الصدام مع القوات الاموية لتحديد الموقفين السياسي والعسكري .

وعمد ابو مسلم الى اسلوب المزج بين السياسة والقوة العسكرية بهدف التفريق بين القوى الخراسانية ودفعها الى الاصطدام حتى لا تتحد كلمتها ويقوى امرها مما يشكل خطرا على الدعوة العباسية . فنجح بدهائه في الابقاء على العداء بين الوالي الاموي على خراسان (نصر بن سيار) وخصومه وتعاون مع (جديع الكرماني) ثم مع ابنه علي بعد ذلك ، و(شيبان الحروي) للإطاحة بالامويين ثم زرع بذور الشقاق بين الوالي الاموي وزعماء القبائل . وتخلص اخيرا من شيبان الحروري وابني الكرماني علي وعثمان .

وهكذا تحرك ابو مسلم على كافة جبهات القوى السياسية ونجح في قطف ثمار جهوده بالقضاء على خصومه والتفرد بحكم خراسان وفر نصر الى نيسابور .

وعمد الزعيم الخراساني بعد ان ثبت اقدامه في المناطق التي سيطر عليها الى التخلص من الزعماء البارزين الذين اعتبرهم منافسين له على الزعامة . فقتل سليمان بن كثير نقيب النقباء كما قتل ابنه محمد ، وتخلص من عدد من انصار الثورة الذين شاركوه في العمل السياسي والعسكري . وخلا بذلك الجو لابي مسلم واضحى الحاكم الاوحد لبلاد المشرق واتخذ لنفسه لقب (امير آل محمد) وهذا يعني انه اعتبر نفسه اكثر من مجرد والي على مقاطعة .

تجلت خلال حرب خراسان قدرات اي مسلم العسكرية والسياسية والادارية تلك القدرات الكبيرة التي تجمعت والتي جعلته من بين اعظم القادة العباسيين . واضحى هذا الرجل بعد ان تقرب من سكان البلاد المحليين امل الموالي الذين تطلعوا اليه وترسموا فيه القدرة لرد اعتبارهم واحياء الارث الفارسي القديم ويمكن اعتباره مقدمه لظهور البرامكة والطاهريين والبويهيين واضعا بذلك اسس الدولة الخراسانية .

<u>ثانيا :- مرحلة قحطبة بن شبيب</u>

ما كادت الثورة العباسية تستقر في خراسان وتتهيأ القيادة فيها لتسديد الضربة الاخيرة لنصر بن سيار المتقهقر الى نيسابور ومعه انصاره من العرب من قبائل تميم وبكر وقيس حتى نقلت قيادة العمليات العسكرية من ابي مسلم الى قحطبة بن شبيب الطائي بأمر من ابراهيم بن محمد العباسي .

ويبدو ان القيادة العليا في الحميمة تطلعت الى ما وراء خراسان من احداث و رأت الا يتجاوز ابو مسلم هذه المنطقة وان العمليات العسكرية في المناطق العربية لابد ان تستند الى قيادة عربية . سيطر قحطبة على طوس ونيسابور وادرك نصر من جانبه استحالة المقاومة واستعادة السلطة فهرب من نيسابور الى الري .

ذعرت الحكومة المركزية في دمشق من هذه التطورات السريعة في خراسان فأرسلت الجيش تلو الجيش للقضاء على قوة الثورة الا انها فشلت في مهمتها . فاستسلمت المدن مثل اصفهان ونهاوند وغيرهما . واضحت الطريق الى العراق مفتوحة امام جيش الثورة . ومات نصر بالري في جو الهزيمة القاتم دون ان يكسب معركة . وفقد الامويين بموته قائدا كبيرا يقودهم في هذا الصراع الدامي مما اثر على قضيتهم تأثيرا سلبيا .

واندفع قحطبة بجيشه نحو الكوفة في جو الانتصارات في الوقت الذي كان فيه يزيد بن هبيرة الوالي الاموي على العراق يتحرك نحوه ، فجرت بينهما معركة انتهت بانتصار قحطبة . وتقهقر ابن هبيرة الى واسط و تحصن بها . لكن قحطبة لم يعش ليرى النتيجة النهائية فقد غرق وهو يعبر النهر وخلفه ابنه الحسن في زحفه الظافر ودخل الكوفة في الرابع عشر من (شهر محرم عام 132 هـ / 749 م) واعترف بأبي سلمة الخلال رئيس دعاة العراق وزيرا لآل محمد وقد اضحى صاحب السلطة الفعلية .

وبهذا تقرر مصير العراق وكان استقرار الثورة في هذا البلد بعد المشرق كسبا عظيما بحيث اضحى من الممكن ان تظهر الدعوة وان يعرف الخراسانيون امامهم من ال محمد .

اعتلاء بني العباس السلطة

كان ابو مسلم على اطلاع دائم بما يجري في العراق عن طريق مندوبه السياسي ابي جهل بن عطية الذي رافق جيش قحطبة وكانت له الهيمنة على القوى المسلحة وقد اعترف به ابو سلمه الخلال واقره في منصبه السياسي .

اما ابو سلمه فقد كان مسؤولا عن الكوفة بوصفه (وزير ال محمد) وهو منصب ولقب استحدث حديثا . ونستنتج من طبيعة المهام التي كان يمارسها والمسؤوليات الملقاة على عاتقه في هذه الفترة انه كان صحاب الامر والنهي . وقد اعترف بسلطته هذه جميع انصار الثورة لكن سيطرته على الجيش لم تكن كاملة وقد بقيت في يد ابي الجهم .

وبعد سيطرة انصار الثورة على الوضع في العراق حان الوقت لاختيار الشخص من آل محمد الذي اعلنت الثورة باسمه ، وكان اسم ابراهيم هو الشائع . لكن هذا التداول كشف عن الغطاء وسهل لبني امية اكتشاف الصلة بينه وبين الثورة . لذلك قبض عليه مروان الثاني وسجنه في حران ثم قتله في (شهر محرم عام 132 هـ / شهر ايلول عام 749 م) وتؤكد الروايات ان ابراهيم العباسي نعى نفسه الى اهل بيته اثناء القبض عليه وامرهم بالمسير الى الكوفة .

وعندما وصل آل العباس الى الكوفة بعد دخول جيش الثورة اليها انزلهم ابو سلمة في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وامرهم بالاختفاء . وكتم امرهم عن جميع القادة والشيعة نحوا من اربعين ليلة ورفض ان يدفع لهم نفقات الانتقال وكتب في الوقت نفسه الى زعماء آل البيت من بني علي بن ابي طالب (عليهم السلام) لقد كتب ابو سلمة الى الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وعبد الله المحض وعمر الاشرف وكانوا جميعا في الحجاز وعرض عليهم امارة المؤمنين لكنهم رفضوا جميعا .

ولم ينفرد ابو سلمة الخلال في ارسال رسائل الى اهل بيت النبي (صلى الله عليه وال وسلم) بل ابو مسلم الخراساني فعل نفس الشيء فكلا الرجلين يريد ان يكون هو صاحب الفضل في تنصيب الخليفة الجديد لكن ابو مسلم الخراساني بعد ان تيقن من رفض الامام الصادق (ع) لتسلم خلافة المسلمين لم يبقى امامه سوى ال العباس فكان ابو العباس وابو جعفر هما فرسا الرهان فغلبت كفة ابو العباس والمعروف بابن الحارثية واسمه عبد الله على كفه ابو جعفر ابن سلامة المغربية واسمه ايضا عبد الله فوقع الاختيار على ابو العباس لسوء سيرة ابو جعفر مع انه يكبر ابو العباس بعشر سنوات تقريبا .

واخيرا فرضت الخراسانية مرشحها العباسي ابا العباس عبد الله بن محمد امير للمؤمنين فبويع بالخلافة يوم الجمعة (الثاني عشر من ربيع الاخر عام 132 هـ / شهر تشرين الاول عام 749 م) والجدير بالذكر في هذا المقام ان تاريخ خلافته يبدأ بعد مقتل مروان الثاني اخر الخلفاء الامويين لثلاث بقين من شهر ذي الحجة من العام الهجري المذكور الموافق لشهر تموز عام 750 م ، وهو تاريخ قيام الدولة العباسية .

ولم يكن امام ابي سلمة الذي تم الامر دون علمه الا ان يقبل بالامر الواقع مبررا موقفه امامهم : (اني انما كنت ادبر استقامة الامر والا فلا اعمل فيه شيئا) . ويبدو ان ابا مسلم قد استشير في الامر قبل حدوثه ووافق عليه بدليل ان مندوبه السياسي ابا الجهم قام بنشاط ملحوظ في اختيار ابي العباس .